

المتنبي في مجلس سيف الدولة

رواية تمثيلية ذات فصل واحد

بقلم إبراهيم أنيس

عضو اللجنة النهمية بأجملنا

«سيف الدولة يلعب الشطرنج مع ابن خالويه ، ويجوارهما أبو الحسن الراوية ،
سيف الدولة «مقهقها» : عليك أن تحمي مليكك يا ابن خالويه .

—بذا قضت الأيام ما بين أهلها : مصائب قوم عند قوم فوائد
ابن خالويه : أعز الله مولاي الأمير ، والله إن فرسك في صياها فوق
لوح الشطرنج . لى فرسك في ميدان القتال

وما الخيل إلا كالصديق : قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب
أبو الحسن : إن مليكك ومليكي في أمن من الخوف ، وما هذه الأليعات
إلا خشب مسندة

فرب غلام علم المجد نفسه كتعليم سيف الدولة الدولة الضربا
إذا الدولة استكفت به في ملة كفاهها ، فكان السيف والكف والقلبا
ابن خالويه : نطقت صواباً ولكن أتعرف لم لم تنصب كلة «خشب» ،
في قولك «ماهى إلا خشب مسندة» ؟

سيف الدولة : يا ابن خالويه عرفناك نحوياً ضليعاً فدع أبا الحسن وحاله
إنه وإن لم يدر من النحو ما وعيت ، لهو بالكتابة والرواية جد علم
علم بأسرار الديانات واللغا له خطرات تفضح الناس والكتبا
أبو الحسن : أدام الله حياة الأمير ، لقد تعودت مثل هذا القول من ابن
خالويه وغيره ، ولكنه الزمن أيها الأمير :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال
ابن خالويه : قاتلك الله . لقد أعدت إلى سمعى ذكر «حتى» ، راحم الله

سيبويه حين قال : « ساموت وفي نفسى شئ من حتى ،
سيف الدولة ، بعد لعبة مدهشة من ابن خالويه ، : لعنك الله ! ضيقت على
الحصار ، فلا أرى مخرجاً

أظمتنى الدنيا ، فلما جئها مستسقياً ، مطرت على مصائبها
ابن خالويه : ألا ليت شعرى .
أبو الحسن : مكلاً ،

هل أقول قصيدة فلا أشتكى فيها ولا أتعجب
وبى ما يذود الشعر عنى أقله ولكن قللى يابنة القوم قلب
سيف الدولة : والله لكأني لم أسمع هذا الشعر من قبل ، لمن هذا ؟
وفيمن قيل ؟

ابن خالويه : كيف يكون في ممدوح غير سيف الدولة
أنت الذى لهج الزمان بذكره وتزينت بحديثه الأسفار
وإذا تنكر فالفناء عقابه وإذا عفا فغطاؤه الأعمار
أبو الحسن : إنه المتنبي يمدح الأمير ، وهو القائل فيك .
من للسيوف بأن تكون سميحاً فى أصله وفرنده ووفائه
سيف الدولة : ألم يكن هذا فى القصيدة التى أجاز بها أياتك ؟ فإذا كان مطلعها ؟
أبو الحسن : مطلعها - أعز الله الأمير :

يا لآئى كف الملام عن الذى أضناه طول سقامه وشقائه
ابن خالويه : ردى ! وإنه لو قال أضناه سباهه لكان خيراً .

سيف الدولة : أحسنت يا ابن خالويه فى نقدك للبرة الأولى .
ونذمهم وبهم عرفنا فضله وبضدهما تميز الأشياء

أبو الحسن : ما زلت أعتر بأبياتى هذه حتى أجازها المتنبي بقوله :
عذل العواذل حول قلب التائه وهوى الأحبة منه فى سودائه
فأصغر من شعرى هذا القول .

ابن خالويه : ساخراً ، : لم لا نلقبك راوية المتنبي ؟ إنى أراك تسرف فى

الثناء عليه وهو لم يأت مجدداً ، رحم الله عنقرة حين قال :

« هل غادر الشعراء من متردم ؟ »

سيف الدولة : يا ابن خالويه ، كن عادلاً في حكمك ، وحاول أن تفهم الشعراء من طريق غير طريق النحو .

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم ؟
أبو الحسن :

مضت الدهور وما أتيت بمثله ولقد أتى فعجز عن نظرائه

ابن خالويه : إنك لتزيده بمثل هذا القول غروراً ، وهو القائل :

الحيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
فليت شعري ماذا أبقي للأمير اوصف نفسه بالرياسة والسباحة والفصاحة ،
يمدح نفسه بما يسرق من كلام غيره ، ويأخذ جوائز الأمير .

سيف الدولة : إنه شغل عني بالمديح في نفسه ، واقد كتبت له بهذا وتنكرت
له بعض الشيء .

وإنى لنجم تهتدى بي صحتي إذا حال من دون النجوم سحاب
وللسر منى موضع لا يناله نديم ، ولا يفضى إليه شراب
« ثم يشرب الكأس ،

أبو الحسن : لعل الأمير يذكر اعتذاره عن هذا بقوله :

أرى ذلك القرب صار ازورارا وصار طويل الكلام اختصارا
تركتني اليوم في خجلة أموت مراراً وأحيا مراراً

ابن خالويه : لاحول ولا قوة إلا بالله ، والله إن الشعراء ليتبعهم الغاوون
كيف يموت مرار ويحيا مراراً ؟ والله إن الموت لموتة واحدة .

سيف الدولة : مقهها ، : يا ابن خالويه ، رفة عنك . فما أشعر إلا خيال
يلذ به السامع ، كما يلذ الشارب بالخير :

« يا ساقى ، على بالصبا . »

أبو الحسن :

لأحبي أن يملئوا بالصافيات الأكوابا
وعليهم أن يذلوها وعلى ألا أشربا
ابن خالويه : والله إن المجلس بغير الشراب ، لكالكلام بلا إعراب .
سيف الدولة : لقد كتبت إلى المتنبي أستدعيه .

و يدخل المتنبي منشدا ،

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعا لأمر أمير العرب
وطوعا له وابتهاجا به وإن قصر الفعل عما وجب
وما عاقني غير خوف الوشاة ، إن الوشائيات طرق الكذب
السلام على مولاي الأمير ومن بحضرته :

سيف الدولة : وعليكم السلام . اجلس يا أبا الطيب .

أبو الحسن : كيف رأيت خلعة الأمير يا أبا الطيب ؟

المتنبي :

فعلت بنا فعل السحاب بأرضه خلع الأمير وحقه لم نقضه
فكان صحة نسجها من لفظه وكان حسن نقائها من عرضه
ابن خالويه : لست أستسيغ قولك : فعلت بنا ،
سيف الدولة : مقهقا ، لعنك الله يا ابن خالويه .

ابن خالويه : إن هذا القول في رداءته يذكركني بقصيدتك التي قلت فيها :
ليت أنا إذا ارتحلت لك الخيل وأنا إذا أقمت الخيام
والتي جعلت فيها الخيام فوق الأمير .

المتنبي :

لقد نسبوا الخيام إلى علاء أبيت قبوله كل الإباء
وما سلمت فوقك للثريا ولا سلمت فوقك للسماء

سيف الدولة : أحسنت يا أبا الطيب ، هل لك في كأس من الشراب ؟

أبو الحسن : رحم الله يماك التركي ، فقد كان طوع الأمير في مجلس
شرابه ، ألسن القائل ترثيه :

لا بقی یماک فی حشای صباة إلى کل ترکی النجار جلیب
ابن خالویه : کف عن هذا ، ولا تذکر الأمير بخادمه المحبوب ؛
فما ماضی الشباب بمسترد ولا يوم يمر بمستعاد
سيف الدولة : یا أبا الطیب ، ألا یذکرک هذا الشطرنج بیوم لنا
أنشدتی فیہ ؟

المتنبي : لقد کان هذا فی يوم مطیر .

أبو الحسن :

ألم تر أیها الملك المرجی عجائب ما رأیت من السحاب
تشکی الأرض غیبه إلیه وترشف مائه رشف الرضاب
وأوهم أن فی الشطرنج همی وفیک تأملی ولك انتصابی
ابن خالویه : قبیح . قبیح ورب الکعبة ، ، ولك انتصابی ، ؟
سيف الدولة : یا أبا الطیب إستمع لما أنشد ، علی أن یحیزه ارتجالاً :
خرجت غداة نفر أعترض الدمی فلم أر أحلی منك فی العین والقلب
المتنبي :

فدیناک أهدی الناس سهماً إلى قلبی وأقتلهم للدارعین بلا حرب
تفرد بالاحکام فی أهله الهوی فأنت جمیل الخلف مستحسن الکذب
وإنی لممنوع المقاتل فی الوغی وإن كنت مبذول المقاتل فی الحب
أبو الحسن : صدقت وبررت ، والله إن الشعر فی أسمى درجاته لا یلذ
السمع إلا حین يتحدث عن الحب ، وإن أنس لا أنس قولک یا أبا الطیب :
وفتاة العینین قتالة الهوی إذا نفحت شیخاً روائحها شبا
لها بشر الدر الذی قلدت به ولم أر بدرأ قبلها قلد الشها
فیاشوق ما أبقی ویالی من النوی ویادمع ما أجرى ویقلب ما أصبی !
ابن خالویه : إن البیت الآخر لشاهد حسن لباب الاستغاثه ! ولكن
خیر من هذا الشعر قول القائل :

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدھا ومن عهدھا ألا یدوم لها عهد

وإن حقدت لم يبق في قلبها رضا وإن رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك أخلاق النساء ، وربما يضل بها الهادى ويخنى بها الرشد
سيف الدولة : يابن خالويه ، إن نحوك - علم الله - ليشير على ، ويقلق
هذا الدم تحت إبطى ، ويمسك إبطه متوجعاً ،
أبو الحسن :

بنا لابلك الشكوى ، فليس بضائر إذا صح نصل السيف مالتى الغمد
المتنى :

أيدرى ما أراك من يريب وهل ترقى إلى الفلك الخطوب
وجسمك فوق همه كل دام فقرب ألقها منه عجيب
وكيف تعلق الدنيا بشئ وأنت بعله الدنيا طيب
ابن خالويه ، وحده ، شهد الله إنه لرياء مستنكر ، ومبالغة غير محمود .
سيف الدولة : بم تتمم يابن خالويه ؟ أذهب النحو بالبقية من عقلك ؟
أبو الحسن : أعز الله الأمير ، مازالت به كان وأخوانها حتى ذهبت برشده .
ابن خالويه : صه . كيف تجرؤ أن تهيننى فى حضرة الأمير ؟
سيف الدولة : كفى ، دعونا أنشدكم هذه الآيات التى طالما أعجبت بها ،
على أن يحجزها أبو الطيب :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتى أياذى لم تمن وإن هى جلت
قى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينه حتى تجلت
المتنى : يطرق قليلاً ثم ينشد ، :

لنا ملك لا يطعم القوم ، همه مائة لحي أو حياة لميت
ويكبر أن تقذى بشئ جفونه إذا ما رأتها خلة بك فرت
جزى الله عنى سيف دولة هاشم فإن نداه الغمر سبني ودواني
أبو الحسن ، مصفقاً : أجدت وأحسن . ألا ترد هذا الذى ارتجلت فأحفظه ؟
المتنى : لا والله حتى يأمر الأمير .

سيف الدولة : أنشد يا أبا الطيب ، المتنبي يردد الآيات وابن خالويه
يسد أذنيه يديه ،

أبو الحسن : هذا هو الذي في أذنيه وقر ، فلا يتذوق جمال الشعر .
ابن خالويه ، متحديا المتنبي ، : غداً العيد فما أعددت لتقول في الأمير ؟
أبو الحسن : إن قصائد أبي الطيب في تهنئة الأمير بالعيد مشهورة .
المتنبي :

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده وعيد لمن سمي وضحي وعيدا
يسمع من الخارج صوت المؤذن فيضع سيف الدولة الكأس جانباً ، ثم
يكبر الجميع مع المؤذن ،
المتنبي :

ألا أذن فما أذكرت ناسي ولا ليلت قلباً وهو قاسي
ولا شغل الأمير عن المعالي ولا عن حق خالقه بكاس
ابن خالويه : أدام الله حياة الأمير ، إن الوقت ليضي سريعا في حضرته .
أهذه هي العشاء ؟

أبو الحسن : والله يا مولاي لو كنت أميراً لأجزلت لأبي الطيب مثل
هباتك له ، فقد علمني الحب إذ يقول :

هام الفؤاد بأعراية سكنت بيتاً من القلب لم تمدد له طنباً
مظلومة القد في تشبيهه غصناً مظلومة الريق في تشبيهه ضرباً
بيضاً تطمع فيما تحت حلتها وعز ذلك مطلوباً إذا طلباً
ابن خالويه : مستكراً ، تطمع فيما تحت حلتها ، ؟ ويقال هذا في
حضرة الأمير ؟ ثم ما معنى قولك « علمني الحب ، وهل الحب يعلم ؟
سيف الدولة : ليست كل القلوب أهلاً للحب ، فمنها الصخر الأصم ،
ومنها الرقيق الحساس :

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه
إن القليل مضرجاً بدموعه مثل القليل مضرجاً بدمائه

أبو الحسن : أصغ إلى هذا القول يا بن خالويه ، فربما ألان من قلبك :
أرق على أرق .

المتنبى : متممة : ومثلى يارق

أبو الحسن : وجوى يزيد وعبرة تترقق

جهد الصباية أن تكون كما أرى : عين مسهدة وقلب يخفق

ما لاح برق أو ترنم طائر إلا اثنتى ولى فؤاد شيق

جريت من نار الهوى ما تنطفئ نار الغضى وتكل عما تحرق

وعذلت أهل العشق حتى ذقت

المتنبى : فعجبت كيف يموت من لا يعشق

والله لو كنت الأمير لأعطيتك أنت هذه المنح ، يا أبا الحسن ، إنك لتحفظ

من شعرى أكثر مما أحفظ أنا .

سيف الدولة : : كأنما تذكر أمراً خطيراً — واقفاً ،

أيها القوم ، أفتونى فى أمر بنى كلاب . ما زالوا يشنون الغارة ، ويفسدون

على أمر الرعية .

أبو الحسن : دهبشاً ، : أما ارعوا بعد أن أدبتم فى المرة الأولى ،

تهاب سيوف الهند وهى حدائد فكيف إذا كانت نزارية عربا

ويرهب ناب الليث والليث وحده فكيف إذا كان الليث له صحبا

ويخشى عباب البحر وهو مكانه فكيف بمن يغشى البلاد إذا عبا

المتنبى يطرق مفكراً ،

ابن خالويه : متهماً ، : المتنبى يستوحى بنات شعره ليصد عنا .

سيف الدولة : كفى يا بن خالويه ، فيم تفكر يا أبا الطيب ؟

المتنبى : منشداً ، :

بغيرك راعياً عبث الذئاب وغيرك صارماً ثلم الضراب

وتملك أنفوس الثقلين طرا فكيف تحوز أنفوسها كلاب

وما تركوك معصية ولكن يعاف الورد والموت الشراب

طلبتهمو على الأمواه حتى تخوف أن تقدمه السحاب
 أبو الحسن : ما أعذب وما أجمل !
 ابن خالويه : متهمًا ، وما أحلى !
 سيف الدولة : أجز هذه الآيات يا أبا الحسن ،
 أبو الحسن :

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجان عتاب
 وإنهمو عبيدك حيث كانوا إذا تدعو لحادثة أجابوا
 وعين المخطئين همو وليسوا بأول معشر خطئوا قتابوا
 المتنبى :

وأنت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لهمو عقاب
 سيف الدولة : أجدت ما أحسنتما ، فماذا ترى يا ابن خالويه ؟
 ابن خالويه :

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العذاب
 أعز الله الأمير ، ليس عدلا أن يعاقب القوم كلهم .
 سيف الدولة : والله لو منعوني درهمًا لقاتلتهم عليه .
 المتنبى :

ولو غير الأمير غزا كلابا ثناه عن شمو سهمو الضباب
 ولكن ربهم أسرى إليهم فما نفع الوقوف ولا الذهاب
 أبو الحسن : فسأهم وبسطهم حرير
 سيف الدولة : متمًا بحدته ، : وصبحهم وبسطهم تراب
 والله لأعلن القوم كيف يرتدون عن غيهم ، يا غلام دع المغنى يغنى قبل
 أن تدور رحي الحرب ، يسمع صوت المغنى مطرباً الأمير ومن بحضرته ،
 المتنبى :

ما ذا يقول الذى يغنى يا خير من تحت ذى السماء
 شغلت قلبي بلحظ عيني إليك عن حسن ذا الغناء

سيف الدولة : أعلى البديهة تقول هذا ؟

أبو الحسن : ليس هذا بكثير على شاعر الأمير .

ابن خالويه : أعز الله مولاي الأمير ، والله لقد ضقت ذرعاً بهذا المتشاعر ، وإن غروره قد جاوز الحد ، إن الرجل ينبغي حولا وسلطاناً كالذى للأمير .

أبو الحسن : هذه الكلمة يراد بها باطل ، أعز الله مولاي الأمير ، لخير لك أن يكون شاعرك على الهمة من أن يكون ذليلها وهو الذى يقول فيك : بلغت بسيف الدولة النور رتبة ملكت بها ما بين شرق ومغرب سيف الدولة ، غاضباً ، :

أراك قد أسرفت يا أبا الطيب فى مديح نفسك ، فم تعذر عن هذا ؟ أجب المتنبي :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً فداء الورى أمضى السوف مضارباً
حنانك مسئولاً وليك داعياً وحسبى موهوباً ، وحسبك واهباً
أبو الحسن : رعاك الله ! لا تسمع لقول الوشاة ، فلست أحسب الأمير قد نسى قول المتنبي فيه :

وبمهجتي يا عاذلى الملك الذى أسخطت كل الناس فى إرضائه
إن كان قد ملك القلوب فإنه ملك الزمان بأرضه وسمائه
الشمس من حساده والنصر من قرنائه ، والسيف من أسمائه
ابن خالويه ، أصلح الله الأمير ، لقد أدخل هذا الرجل على الشعر ما أفسده ، ولعل الأمير يذكر ذلك الهذيان الذى سماه شعراً فى قصيدته التى مطلعها :
ما أنصف القوم ضبة وأمه الطرطبة
سيف الدولة : يزداد غضبه ،

أتقرن غيرى بى فى المديح يا أبا الطيب ؟
المتنبي :

وظنوني مدحتهم قديماً وأنت بما مدحتهم مرادى
أبو الحسن : لله درك حين تقول :

أنا ترب الندى، ورب القوافى وسهام العدا، وغيظ الحسود
ابن خالويه : أنا لست بحسود، وإنما أنا أديب يعرف للشعر قدره
المتنبى : اتق الله يا ابن خالويه
ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده تصيده الضرغام فيما تصيداً
صدق من قال : إذا لم تستح فاصنع ما شئت
في الناس أمثلة تدور : حياتها كمهاها ، ومآنها كحياتها
أبو الحسن :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
سيف الدولة : أسرقما في ذم ابن خالويه والتعريض به .
ابن خالويه : معرضاً بالمتنبى ، :
تخفى العداوة وهى غير خفية نظر العدو بما أسرى بوح
مخاطباً سيف الدولة ، :
فلا تغررك السنة موال تقلبن أقدرة أعادى
المتنبى :

أزل حسد الحساد عنى بكتبهم فأنت الذى صيرتهم لى حسداً
وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
أجزنى إذا أنشدت شعراً ، فإنما بشعرى أذاك المادحون مردداً
أبو الحسن : من أجل ما أحفظه لك يا أبا الطيب قولك :
وإذا خفيت على الغبي فعاذر ألا ترانى مقلة عمية
المتنبى : أطال الله بقاء الأمير . لقد خلقت فينا الشجاعة . وكنت لنا المثل
فى ميدان القتال .

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلنى هزيمة ووجهك وضاح وثرعك باسم
سيف الدولة : أما قلت :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
 تمر بك الأبطال كلّي هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم
 المتنبي : أعز الله الأمير ، إني حين ذكرت الموت في أول بيت أتبعته
 بذكر الردى ليجانسه ، ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ،
 وعينه من أن تكون باكية ، قلت : ووجهك وضاح ، لأجمع بين الأضداد
 سيف الدولة : أحسنت وأجدت ، « يناوله عطية ، إني لأطرب لشعرك
 يا أبا الطيب ، أنشدني ا

المتنبي :

رأيتك في الذين أرى ملوكاً كأنك مستقيم في محال
 فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
 ابن خالويه : هذا الشعر فيه عيب في الصنعة ، قولك « مستقيم في محال »
 والمحال ليس من ضده الاستقامة ، وإنما ضدها الاعوجاج ،
 أبو الحسن « متهمك » : هب القصيدة جيمية فكيف تروى البيت الثاني ؟
 ابن خالويه :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن البيض بعض دم الدجاج
 « الجميع يضحكون ،

المتنبي : حسن مع هذه السرعة ، إلا أنه يصلح أن يباع في سوق الطير ،
 لا بما يمدح به مثل الأمير .

ابن خالويه « محتداً » : أتتهزأ بي يا شيطان ا

المتنبي :

ومن يك ذا فم ممر مريض يجد مرأ به الماء الزلالا

ابن خالويه : اسكت وإلا . « مهدداً بمفتاح في يده ،

المتنبي : اسكت ويحك ، مالك وللعرية ، إنك أعجمي ا

« ابن خالويه يضربه بالمفتاح ،

« المتنبي يحاول الإمساك بتلابيبه فيصيح به سيف الدولة ،

سيف الدولة : بعد هدوء الباصفة :

لقد اتصف لنفسه

المتنبى : لا بد من رحيلى . ثم ينشد :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجدائنا كل شئ بعدكم عدم
يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فىك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فىمن شحمه ورم
إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم
ينزل الستار .

(لندن)

ابراهيم أنيس

عضو بنة المجمع اللغوى

